ثلاثين قرنا، وهؤلاء الرجال الكبار، ليس لهم من الأمر شيء، وإذا كان لهم في التاريخ قدر، فلأنهم عبيد أخلصوا لربهم، وتفانوا في مرضاته . . أما ذرات أبدانهم فهي كبقية أجزاء الكون خاضعة لله، هاتفة بمجده ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾(١) .

إن وحدانية الله حقيقة أزلية أبدية، وكذلك افتقار العالم إليه، العالم أجمع من العرش إلى الفرش !

لا قوة إلا بالله، ولا مشيئة إلا ما شاء، لا يمارى في ذلك إلا جهول ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدَّوابُّ وكثير من الناس وكثير حقَّ عليه العذاب** ﴾(٢) .

وهذا الكثير الذي حق عليه العذاب، هو الذي جحد الله، أو جعل له من عباده جزءا . أيّ جزء؟ وكيف يرتفع المخلوق إلى مستوى الخالق؟ أو كيف يسوى بين الموجد ومن أوجده؟ إن كتاب محمد ﷺ هو الذي شرح هذه الحقيقة أوفى شرح، ومنه عرفنا أن الإسلام المطلوب من البشر، هو تجاوب مع الإسلام الشائع في الكون كله ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون** ﴾(٣) .

إن آفاق السماء وفجاج الأرض، تسبح بحمد ربها، فلماذا نشذ نحن ولا نصطبغ بما اصطبغ به الكون كله؟ إن العصيان اختراق لقاعدة عامة، أو هو نغمة فاجرة، بين أنغام ظاهرة، ترنو إلى البارئ الأعلى في استكانة وتفان وإعظام ﴿ **ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافَّات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون * ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير** ﴾(٤) .

وإسلام الوجه لله، يصفو، أو يكدر، على حسب ضيق المعرفة، أو سعتها، وقد تعَرَّف الله إلى عباده بأسمائه الحسنى، وهي أسماء كاشفة لصفات الكمال التي تقترن بذاته وهي تنتشر في طول القرآن وعرضه على نحو مثير .

---

(١) الإسراء : ٤٤ .
(٢) الحج : ١٨ .
(٣) آل عمران : ٨٣ .
(٤) النور : ٤١ ـ ٤٢ .